اللغة العربية في عصر العولمة " الواقع والتحديات "

أ.جمال بلبكاي

جامعة سكيكدة

الملخص:

اللغة العربية - ولا شك - تعتبر من الثوابت الأساسية للأمة العربية الإسلامية، فهي رمز هويتها، وأداة إبداعاتها الفنية، ومعلم من معالم النتاج الفكري والأدبي، كما أنها وسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد، وهمزة وصل فعالة في بوتقة المجتمع وصهر جميع أفراده من أجل تحقيق كيان الأمة، والسير بها قدمًا إلى مصاف الدول المتقدمة، والوقوف بها على عتبات التاريخ شامخة كالطود الأشم قديما وحديثا.

و اللغة العربية هي عنوان هويتنا العربية، ورمز كياننا القومي وهي جامعة شملنا، وموحدة كلمتنا، وهي حافظة تراثنا ولغة قرآننا، وذلك لأن لغة العرب أفصح لغات التخاطب بين الناس، وأبينها، وأوسعها،وأكثرها تأديةً للمعاني التي تقوم في النفوس، وهي اللغة التي أحكمت بها ألفاظ آيات القرآن الكريم، وفصلت معانيها،وهي واسطة نقل الأفكار وانتشارها، وهي العلاقة التي تربط بين أفراد الأمة وتعبر عن أحلامهم وآمالهم وعن أفراحهم وآلامهم.

وإيماناً منا بأهمية اللغة العربية ومكانتها في ترسيخ الهوية القومية والإبداع والانتماء، فإن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز ما تواجهه اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين من تحديات متعددة ، فالعالم اليوم يعيش عولمةً في مختلف مجالات الحياة، وأصبحت المعارف والعلوم والثقافات متداولة بين جميع أقطار العالم، فلم تعد هناك قيمة للعامل الجغرافي أو حتى العامل الزمني،و في ظل هذه العولمة يحتاج الناس إلى لغة عالمية تكون وسيلة لنقل المعارف والثقافات بين البشرية، فحينما يجلس العربي بجانب الصيني أو الياباني فإنه يريد لغة مشريكة بينه وبينهم حتى يتم التبادل المعرفي بسلاسة وسهولة، وإلا فلن يكون هناك نفع حقيقي من العولمة .ومن المنطق أن تكون اللغة المختارة لتكون لغة عالمية لغةً سهلة ميسرة، يمكن إتقانها والتمكن منها بأسهل الطرق وأيسرها.

المنارة للاستشارات

كما تسعى الدراسة إلى بحث واقع اللغة العربية اليوم في ظل طوفان جارف لعولمة لغوية وثقافية ،حتى كدنا نفقد هويتنا ضمنها ، وصار أبناؤنا يعانون أوهاماً لغوية رغم التاريخ العظيم والماضي التليد للغة العربية. ومن ثم بحث سبل النهوض بها لمواجهة تلك التيارات الجارفة وتحديها، فاللغة من مقومات بناء الأمم وتنميتها وارتقائها، وتطور الأمم رهن بمحافظتها على لغتها ، وقدرة هذه اللغة على التطور والاستيعاب لكل مستحدث ، والعربية إحدى هذه اللغات التي ظهرت منذ القدم ، ولا تزال صامدةً في مواجهة تحديات كثيرة ، لكونها لغة حية تحمل رسالة سماوية عادت على الإنسانية جمعاء بالنور والهداية ، فهي إذن معطى حضاري مهم للأمة العربية والإسلامية ، لكونها تمثل تراثاً وتاريخاً ،هويةً وبعداً حضارياً.

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية ، العولمة، التكنولوجيات الحديثة، التحديات.

Abstract:

Arabic language obviously is one of the fundamental constants of the Islamic Arab nation. It is icon of its identity, the mean of its artistic creativity, and one of the intellectual and literary output tributes. Arabic language is also a means of communication between individuals and an effective link in the crucible of the community and the melting of all its members in order to achieve entity of the nation, and boost it to the ranks of developed countries, and stand on the threshold of history.

Arabic is the heading our Arab identity, the symbol of our national being and the key of our unity. It is the one which unifies our word, preserves our heritage, and the language of Quran because the language of the Arabs is the fluent spoken languages among the people, the clearest, the vastest, and the most expressive of meanings which spring from the soul. It is the language that is used in the writing of the words of Quran and explains their meanings. It is a medium of the transmission and spread of ideas and the relationship which links between the members of the nation and express their hopes, their dreams, their joys, and pains.

And our belief in the importance of the Arabic language and its place in the consolidation of national identity, creativity, and belonging, this study aims to highlight the various challenges which confront the Arabic language in the twenty first century. The world today becomes globalized in different areas of life whereby knowledge, sciences, and cultures become in circulation throughout the world and the geographical and even the temporal factors no longer have the value.

المنارة للاستشارات

And in the light of globalization, people need a universal language as a means for the transfer of knowledge and cultures between humankind. For instance, when an Arab sits beside a Chinese or Japanese, he needs a common language between him and those in order to exchange knowledge smoothly and easily or there will be no real benefit from globalization. Systematically, the selected language to be a universal one is a soft and easy language and its mastery is possible in the easiest ways.

The study also seeks to examine the reality of the Arabic language in today's overflow sweeping linguistic and cultural globalization that so we almost might lose our identity within. Our children become suffering from linguistic illusions despite the great history and glorious past of the Arabic language. And therefore, the study aims at searching the ways of enhancing our language to meet those currents. Language is one of the pillars of nation-building, development, and advancement. The development of nations is conditioned by the preservation of their language and the ability of this language to develop and assimilate each novelty. The Arabic language is one these languages that has emerged since antiquity and remains stubborn in the face of many challenges because being a living language bears the heavenly message which benefits all humanity with enlightenment and guidance. Consequently, the Arabic language is a crucial aspect for the Arabic and Islamic nation because it represents the heritage and history, identity and cultural dimension.

Keywords: Arabic language, globalization, new technologies, challenges.

تمهيد :

اللغة العربية- ولا شك -تعتبر من الثوابت الأساسية للأمة العربية الإسلامية، فهي رمزهويتها، وأداة إبداعاتها الفنية، ومعلم من معالم النتاج الفكري والأدبي، كما أنها وسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد، وهمزة وصل فعالة في بوتقة المجتمع وصهر جميع أفراده من أجل تحقيق كيان الأمة، والسير بها قدما إلى مصاف الدول المتقدمة، والوقوف بها على عتبات التاريخ شامخةً كالطود الأشم قديما وحديثا.

أصالة اللغة العربية:

تعد اللغة العربية من أقدم اللغات ، وهي مازالت حيةً حتى يومنا هذا، ويرجع الفضل إلى القرآن الكريم الذي حافظ على أصل اللغة الأم (لغة الضاد) وذلك رغم تعرض البلاد إلى غزو الكثير من الأقوام الغريبة في ثقافاتها ولغاتها.

المنارة للاستشارات

فهي مرتبطة أشد الارتباط بالدين الإسلامي ،وهي بحسب الباحث " صالح بلعيد" " اللغة الرسمية التي تنص عليها دساتير الوطن العربي والرسمية في المحافل الدولية واللغة الرابعة المرشحة للظهور بقوة في القرن الواحد والعشرين،تمتاز بخصائص مميزة ،تظهر في البنيات الصوتية والصرفية والنحوية ،ولها نظام كتابي متميز، وتراث غني لا مثيل له في أي لغة من لغات البشر، وهي أقدم لغة على وجه الأرض ،ولم تحدث قطيعة بين أصولها وحداثتها،ويقرأ بها تراثها دون مساعدة معجمية ، كما أن هذه اللغة لهجات متنوعة تختلف في بعض ألفاظها أداء ودلالةً من قطر عربي لآخر، وتشكل الفصحى الوسيلة المثلى للتواصل".(صالح بلعيد ،2009،ص9).

وهي كما هو معلوم اللغة التي يستخدمها العرب ويتداولونها ،منذ العصر الجاهلي إلى اليوم ،فبها كتبت المعلقات ونطق شعراء العرب الفحول قديماً حيث كانت في أوج قوتها وتقام لها أسواق أدبية ،كسوق " عكاظ" الذي يتبارى فيه الشعراء، مما عاد عليها بتثبيت دعائمها ،وإحكام رسوخ أنماط استخدامها وأنظمتها لدى أبنائها، فيتعلمونها عن فطرة وسجية،منذ صغرهم بحكم الاستعمال اليومي لها في صورتها الفصحى، وصارت بذلك ديوناً للعرب ومدونة لأحداثهم وتاريخهم ، ثم جاء القرآن الكريم المعجز بآياته ومعانيه ، فتحداهم في اللغة العربية التي نزل بها ،فكان معجزةً بيانيةً.

فالعربية إذن لغة الدين الاسلامي بها نزل القرآن الكريم ودون،وبها تكلم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ودون الحديث الشريف، لتأخذ فيما بعد أبعادا علميةً وبيانيةً وتتطور بها وضمنها الحضارة الإسلامية ، إبان العصور الذهبية لها، فاستقطبت اهتمام كثير من الثقافات الأجنبية التي أخذت منها بفعل حركة الترجمة آنذاك.

ومن المعروف أن كل مسلم مطالب بتلاوة القرآن الكريم، ومعنى هذا أن كافة المسلمين في العالم مطالبون بتعلم اللغة العربية، ومن هنا اكتسبت اللغة العربية القداسة النورانية والخلود السرمدي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"الحجر: 9"، فبحفظ الله تعالى كتابه يحفظ اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين، ولولا القرآن الكريم لاندثرت هذه اللغة أوعلى الأقل انزوت وقل من يتكلمونها وانهارت أصولها.(غنيم كارم السيد ،1990، ص 40).

ماهية العولمة:

يعتبر مصطلح العولمة من أكثر المصطلحات المعاصرة جذبا للأقلام، وإثارة للنقاشات والمجادلات، وذلك لما لها من تأثير على حياة الناس في مختلف أنحاء المعمورة وبما تطرحه

من أفكار ومفاهيم وأنماط سلوكية تمس مناحي الحياة سواء منها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

والعولمة ترجمة للمصطلح globalization في اللغة الإنجليزية وmondialisation في اللغة الفرنسية .و بهذا فإن العولمة من الناحية اللغوية تعني " الحمل و الإجبار أوالإكراه على العالمية ". (فؤاد البنا ،2006، ص230).

أما اصطلاحًا فقد تعددت التعريفات و اختلفت باختلاف المنطلقات و التوجهات و ما يهمنا في هذا المجال هو بأنها " إزالة الحواجز و المسافات بين الشعوب بعضها وبعض،وبين الثقافات بعضها و بعض، وبين الثقافات بعضها و بعض، وبذلك يقترب الجميع من (ثقافة كونية) و(أسرة كونية)، و يعرفها بعضهم بأنها تحويل العالم إلى قرية كونية". (المرجع نفسه ، ص231).

العولمة كمبدأ تهدف إلى تعزيز الترابط بين شعوب العالم في إطار مجتمع عالمي موحد تتآ زر فيه الجهود للسير نحو الأفضل، مجتمع القرية الكونية الواحدة، تتجاور فيه المجتمعات الإنسانية، متجاوزة الحدود الجغرافية متخطيةً الحدود الإقليمية، عالم أرحب، تتوحد فيه سبل التفكير وأنماط السلوكات وطرق العيش، وسبل حل الإشكالات المطروحة على الإنسان وبيئته، ويتوحد المصير والثقافة بما فيها القيم الإنسانية، واللغة وكل ما يتعلق بحياة البشرية.

ومن ثمة تتقارب الشعوب وتتفاهم، فتزول بؤر التوتر وتنمحي الخلافات، فتنطفئ فتائل الحروب والصراعات، فينتقل المجتمع العالمي من حالة الفرقة والتشتت إلى حالة التقارب والانسجام، ومن حالة الصراع والتناحر إلى حالة التوافق والسلام، مجتمع تتجسد فيه طموحات متجانسة وقيم متماثلة تحكمه قوانين ومواثيق إنسانية واحدة، ومن هنا تتشكل هوية واحدة للبشرية جمعاء.

ويبدو أن الأهداف المصرح بها من طرف القائمين على الفكر العولمي هي في صالح البشرية، إلا أن ما نراه على أرض الواقع، وما أفرزته تطبيقاتها من أهداف خفية، أثبتت هيمنة النموذج الغربي عامة والأمريكي خاصة على المجتمعات البشرية، فالعولمة في حقيقة الأمر هي أمركة سياسية واقتصادية واجتماعية، وثقافية.

أهمية اللغة العربية في الوقت الحاضر:

قد يعجز الأديب مهما بلغت فصاحته وحلّق بيانه أن يلم بكل مظاهر الجمال والتفوق في اللغة العربية .كما يعجز الباحث المتقصي أن يحصي كل أو بعض أسرارها وإبداعها .وما

المنارة للاستشارات

سنورده في هذا البحث ما هو إلاّ قطرة في يمّ العربية العظيم وعالمها المليء بالجلال والجمال.

الأهمية التاريخية:

تعتبر العربية في الوقت الحاضر أهم اللغات على الإطلاق .وتأتي أهميتها من العدد الهائل للناطقين بها لغةً أُمّاً .بالإضافة إلى تأثيرها الديني والفكري في مناطق كثيرة من العالم المعاصر.

ويربط بعض الكُتّاب العرب المعاصرين أهمية العربية في الوقت الحاضر بمقدرتها الفائقة على الصمود دون تغيير جذري يذكر في تركيبها لأكثر من ستة عشر قرناً خلاف ما حدث للّغات الأخرى التي تغيَّر بعضها تغييراً جذرياً.

يقول الدكتور السعيد محمد بدوي في ذلك" : تنفرد اللغة العربية بأن مجموع محصولها اللغوي الذي يستخدمه أبناؤها في الوقت الحاضر يرجع في التاريخ إلى أكثر من 1600 عام، ولا توجد لغة على ظهر الأرض لها مثل هذه الخاصية .فالقرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر الجاهلي وأدب صدر الإسلام، والأدب الأموي وتراث العصر العباسي وما تلاه، ليس مجرد إرث تاريخي مرحلي، بل هو معين فكري لغوي حيّ لا تغترف منه الثقافة العربية المعاصرة فحسب، بل إنه ذاته قسم أساس قائم برأسه من حصيلة الثقافة العربية المعاصرة " .(بدوي، السعيد، ويونس، فتحي ،1983،ص 01).

ويتفق مع الدكتور البدوي الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السابق، الذي يقول:"واللغة العربية تتميز بين اللغات بصفات فريدة، فهي من اللغات القليلة إن لم تكن اللغة الوحيدة التي بقيت قدرتها التواصلية عبر أكثر من ستة عشر قرناً من الزمان، ولو أن عربياً بُعث اليوم من خلف هذه القرون لتحدّث إلى المعاصرين العرب فأفهمهم وفهموا منه .وها نحن أولاء نقرأ اليوم شعراء العرب في الجاهلية كما نقرأ شعر العصور الإسلامية والشعر العربي المعاصر .وإن الفضل في هذا يرجع إلى القرآن الكريم كتاب الله القديم الذي استودعه شريعته السمحة الخالدة، الإسلام".(بدوي، السعيد، ويونس، فتحي ،1983،ص 02).

فنجد أنه من الناحية التاريخية نجحت العربية في حمل الثقافتين الإسلامية والعربية لأكثر من ستة عشر قرناً.

إن المتتبع المنصف للتاريخ البشري يمكن أن يلمس أن العربية كان لها تأثيرها الكبير جداً على الثقافة وعلى المعرفة الإنسانية .ففي حقب معينة من التاريخ كانت هذه اللغة هي المركبة التي حملت البشرية إلى التقدّم والمدنية، والنهل من جميع العلوم بما فيها :الأحياء

المنارة للاستشارات

والطب والفلسفة والرياضيات وغيرها .فمن المعروف تاريخياً أن العلوم والفلسفة الإغريقية تَعرَّف عليها العالم بأسره من خلال ترجماتها العربية.

وكان ذلك في العصور الوسطى، حين كانت أوروبا والعالم الغربي بأسره في أحلك عصور الجهل والتخلّف، إضافة إلى أن العلماء العرب أضافوا إلى ترجماتهم لعلوم الأمم الأخرى علوماً قائمة برأسها وضعوها بأنفسهم ولم يُسبقوا إليها.

الأهمية الدينية:

إن العربية هي لغة القرآن الكريم التي تخيَّرها الله لكتابه العزيز من بين جميع لغات العالم .وإن يكن الذكر الحكيم معجزة لغوية، فإنه مما يشرِّف العربية كثيراً جداً أن تكون اللغة التي تحققت بها هذه المعجزة، معجزة الإسلام الكبرى .إذ لم يبلغ كتاب ديني ولا دنيوي ما بلغه الذكر الحكيم من روعة البيان والبلاغة، ومَسّ المشاعر وأسر القلوب .وقد انقطعت آمال العرب الفصحاء دون هذا الكتاب في محاكاته أو الإتيان بشيء على مثاله. ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾"الإسراء :88".

ولكون العربية لغة القرآن الكريم، فقد نشأت صلات قوية للغاية بين هذه اللغة وبين الإسلام .فقد أضحت العربية لغة العبادة للعالم الإسلامي بأسره.وقد انتشرت هذه اللغة في كل بقعة انتشر فيها الإسلام، حيث يتحتم على كل المسلمين أن يؤدوا كثيراً من شعائرهم بهذه اللغة.

ومع أن الكثير من الترجمات قد ظهرت في الماضي والحاضر لكتاب الله الحكيم، إلاّ أن الاتصال المباشر به لا يكون إلاّ بالعربية .إذ تختلف الترجمات القرآنية في مدى دقتها وتعبيرها عن محتوى الآيات الكريمة.

لذلك فإن للعربية أهمية دينية عظيمة، فهي اللغة الدينية لمليار ونصف من المسلمين في الوقت الحاضر .ولابد لهؤلاء المسلمين من استعمال هذه اللغة لتأدية الكثير من مشاعرهم الدينية كالصلاة مثلاً.

ولعل أهمية العربية الدينية لا يمكن فصلها عن أهميتها التأريخية لارتباطها الوثيق بالإسلام وانتشاره كما أسلفنا.

الأهمية الجغرافية :

إن العربية مستعملة لغة أماً في منطقة جغرافية مترامية الأطراف ، ولهذه المنطقة الجغرافية أهمية كبيرة فيما يتعلق بموقعها وعدد سكانها، فهي اللغة الأم الأولى في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إضافة إلى مناطق أخرى.

المنارة للاستشارات

ويتكلم العربية في الوقت الحاضر حوالى 371 مليون نسمة من مجمل سكان العالم العربي الذين يبلغون 211 مليون نسمة .أي أنه في العالم العربي كله لا يتكلم لغات غير العربية سوى 21 مليون نسمة يمثلون بعض الأقليّات العرقية، إضافة إلى أن هذه الأقليّات تتكلم العربية لغةً ثانية .ويغطي العالم العربي اليوم كما أسلفنا مساحة جغرافيةً كبيرة.

وبمقارنة العربية بلغات العالم الأخرى في الوقت الحاضر، فإنها تُعتبر اللغة السادسة من حيث عدد المتكلمين بها لغةً أماً .كما تُعتبر اللغة الأكثر انتشاراً في إفريقيا وغرب آسيا؛ لأنها اللغة الدينية لمليار ونصف من المسلمين ينتشرون في بقاع الأرض المختلفة.

الأهمية اللغوية:

تُعتبر اللغة العربية لغةً ناضجة لغوياً .وينطبق هذا النضج على نحوها ومفرداتها وتراكيبها وسماتها الدلالية، وتأثيرها الملموس على الكثير من لغات العالم .

ومن أهم الأدلّة على نضجها اللغوي :نظام الإعراب .فهو من أهم النظم اللغوية التي تميّز العربية عن غيرها من اللغات، فقد أعطى هذا النظام الدقيق مرونة كبيرة للمتكلمين بالعربية تجعلهم غير ملزمين بترتيب معين للكلمات يدل على الوظائف النحوية لها، بينما تلزم الكثير من اللغات متكلّميها بترتيب معيّن للكلمات يميّز الوظائف النحوية فيها .ويضيع هذا التميز إذا اختل هذا الترتيب.

فالإنجليزية مثلاً تتبع ترتيب (فاعل – فعل – مفعول) أو ما يُشار إليه بـ (SVO) في علم اللغة.

فإذا أردت أن تقول(:أكل زيد طعاماً) يجب أن يكون الترتيب(زيد أكل طعاماً) ولا يجوز أن تقول(:أكل زيد طعاماً) ولا(طعاماً أكل زيد) ولا (أكل طعاماً زيد) بينما يجوز لك أن تقول كل ذلك في العربية، وذلك لوجود علامات الإعراب التي تلحق بأواخر الكلمات وتميّز الفعل من الفاعل من المفعول .ونظام الإعراب هذا بكل المرونة التي فيه دليل واحد على فكرة النضج التي نتحدث عنها.

ومن دلائل نضجها كذلك استغناء العربية عما يدل على علاقة الإسناد فيها بين المُسند والمُسند إليه، فنقول(محمد تلميذ) ولا يلزمك أن تقول (محمد هو تلميذ) ، وفي حالة قولك: (محمد هو تلميذ) فإن (هو) هنا تعرب حرفاً زائداً لا محلّ له من الإعراب فحين نضجت العربية استغنت عما يدل على علاقة الإسناد، بينما لم تستغن لغات أخرى كثيرة عما يدل على هذه العلاقة، ومنها اللغات الأوروبية

كالإنجليزية التي يتحتم عليك فيها أن تقول :(Muhammad is a student) ،والفرنسية :

المنارة للاستشارات

(Muhammad est un etuduent).

كما أن للعربية تأثيرها الكبير على اللغات الأوروبية .ففي الإسبانية مثلاً يوجد ما يربو على6500 كلمة من أصل عربي .كما أن معظم الكلمات الإسبانية المبدوءة بـ (أل) هي من أصل عربي .ومن المعروف أن كثيراً من المصطلحات العلمية الأوروبية في علوم كثيرة هي من أصول عربية .فقد وضعها العرب وبقيت في اللغات الأوروبية دون أن يكون لها مرادفات لاتينية أو إسبانية.(رشدي طعيمة، 1982، ص 05).

أما عن نضجها البلاغي وتفوّقها على كثير من لغات العالم بلاغياً فقد تحدث عنه الكثير من مفكري ولغويي الغرب.

والاستشهاد بآراء الغربيين له سببان :الأول أنهم مطلعون على لغات أخرى سوى العربية، وبإمكانهم مقارنتها بهذه اللغات .والسبب الثاني :تحاشي أي ادّعاء يقول :إن آراء العرب فيه نوع من التحيُّز للغتهم.

يقول(باتاي) (Patai) في تفوّق العربية البلاغي: "من واقع اتصالي المباشر ومعرفتي لكثير من لغات العالم، أستطيع أن أؤكد أنه لا توجد لغة في العالم يمكن أن تصل إلى أقل مستويات العربية البلاغية، ومقدرتها على سبر أغوار النفس الإنسانية،والوصول مباشرة إلى الحسّ الإنساني والتأثير فيه .وفي تلك المقدرة الهائلة لا يمكن مقارنة العربية بشيء آخر سوى الموسيقى .إن تأثير الإنجليزية على الناطقين بها يختلف كثيراً عن تأثير العربية على العرب، إذ يتفاعل العرب مع لغتهم تفاعلهم مع الموسيقى .بل إن تفاعلهم مع لغتهم أعمق وأكثر رهافةً وأشد تأثيراً".

وعن قدرة العربية الكبيرة على اشتقاق الألفاظ وظواهرها الصرفية اللافتة، يقول (إرفنج) (Irving)

إن هذه القوة (في العربية) في اشتقاق الألفاظ تقودنا إلى هذه الثروة المدهشة من المفردات التي نواجهها حين نتعلم العربية .إن الجذور الصرفية العربية الكثيرة جداً بالإضافة إلى الموازين الصرفية الكثيرة جداً أيضاً، تجعل العربية من أوسع وأعظم اللغات في العالم .وإذا أخذنا هذه الخاصية وحدها من بين جميع خاصيات العربية بعين الاعتبار، فإن العربية جديرة بأن نسعى إليها ونتعلّمها .إنها واحدة من اللغات الكلاسيكية العظيمة، وتقف جنب الإغريقية وغيرها".(محمد خضر عريف ،2012 ،ص 15).

الأهمية السياسية:

أما على المستوى السياسي في الوقت الحاضر، فقد أصبحت العربية لغة رسمية ولغة معمولاً بها في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة.

المنارة للاستشارات

يقول القرار رقم (3190) الصادر في 18 ديسمبر1973 عن الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة : "

تقديراً للدور المتميّز الذي أدّته وتؤدّيه العربية في حفظ ونشر الحضارة والثقافة الإنسانية .

وقديراً لكون العربية لغة تسعة عشر عضواً من أعضاء هيئة الأمم المتحدة(في ذلك الوقت)، وكونها لغة عاملة في هيئات عالمية متخصصة كثيرة مثل منظمة التربية والعلوم والثقافة العالمية، ومنظمة التغذية والزراعة، ومنظمة العمل الدولية، بالإضافة إلى كونها لغة رسمية ولغة عاملة في منظمة الوحدة الإفريقية.

ونظراً للحاجة الملحّة إلى المزيد من التعاون الدولي، نقرر أن تصبح اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية واللغات العاملة في الجمعية العمومية بكل لجانها الرئيسة ". (محمد خضر عريف ،2012 ،ص 15-16).

♦لكل الاعتبارات السابقة أصبحت العربية واحدة من أهم لغات العالم في الوقت الحاضر، وانتشر تعليمها في الدول الناطقة بها وغير الناطقة بها.

موقع اللغة العربية في عصر العولمة:

يطرح الكثير من الباحثين والدارسين إشكالاً مفاده؟ ما موقع اللغة العربية في العولمة ؟ والأحرى أن نطرح السؤال طرحا سليما وأكثر منطقية ونتساءل:

ما موقع الإنسان العربي في عصر العولمة ؟ لماذا؟ لأن اللغة ما هي إلا أداة من أدوات التواصل والتخاطب، والتعبير عن المقاصد والحاجات ليس إلا.ومن ثمة فالعيب ليس في اللغة بقدر ما هو في الناطقين بهذه اللغة . وليس هناك ما يدع مجالاً للشك لدى الداني والقاصي بأن اللغة العربية لم تكن في يوم من الأيام عاجزة على مسايرة الحضارة ، ومواكبة عصور القدم ولعل لغة استطاعت حمل كتاب الله وأحكامه ، وكانت وعاء يتسع لآيات الذكر الحكيم ، لن تعجزها أسماء ومخترعات بشرية تتسم بمحدودية العلم ونسبية المعرفة، مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾"يوسف:76".

ومن هنا بات من المؤكد على الإنسان العربي أن يراجع حساباته ، ويرتب بيته من الداخل ترتيبا سليمًا، وصحيحًا، ويعود ويستقرئ لغته من جديد وينقب عن مكوناتها ، ويغوص في أبعادها ليستخرج كنوزها ودررها، حتى يتسنى له الوقوف في وجه العولمة ، وبسط نفوذها على العالم ونتائج ذلك قائلا :" العولمة آلية لتكريس الفوارق بين الشمال المتخم بالغنى والجنوب الذي يعاني من الفقر المدقع).

المنارة للاستشارات

وفي اعتقادنا فإن العولمة ما هي إلا ثوب تلبسه أمريكا من أجل استعادة مجدها وغطرستها لاحتواء العالم ، وجعله يأتمر بأوامرها وينته بنواهيها ، ومن هنا وجب على الدول العربية أن تستيقظ من سباتها العميق ، وتفكر بجدية وأناة في إيجاد البدائل المناسبة والحلول الناجعة من أجل إيقاف هذا الزحف ، والسيل الجارف الذي بات يهدد ثوابت الأمة العربية أكثر من ذي قبل ، ويحاول طمس معالمها ،والحط من مكانتها ، والانتقاص من شخصيتها واستدمارها من جديد ، وبأسلوب جديد تحت غطاء ما اصطلحوا عليه بالعولمة ولرب معارض يقول: العولمة فرضت نفسها ، وما يبدئ هذا الكلام وما يعيد ؟

والحقيقة هي غير ذلك ، لأن بعض القائلين بهذا الكلام واحد من اثنين ،إما لم يفقهوا أبعاد العولمة ،

وإما أذناب للثقافة الغربية ومتمسكين بتلابيبها و أدرانها، وإلا فما هي الدوافع التي تحملهم على الإقرار بالعولمة ، والخضوع للغة الإنجليزية ثم إلقاء التبعة على اللغة العربية ؟

وكان الأجدر بهم أن يفتشوا في أنفسهم ، وينقبوا عن ذواتهم ،ويسألوا : ماذا قدموا للغة العربية ؟ وهل – فعلاً- أضافوا إلى اللغة أشياء جديدة؟ وهل سألوا أنفسهم –يوماً- لماذا اللغة الإنجليزية فرضت نفسها على لغات العالم ، وتجاوزت ذلك إلى الجوانب الاقتصادية ، والسياسية، والاجتماعية ، والثقافية؟.

نقول لهؤلاء جميعا : إن اللغة العربية لغة حية فرضت نفسها منذ عهود وآماد خلت ، ولا زالت تفرض نفسها ولن يضرها قول قائل ، أو تنطع ناطع ، ويكفيها سموقًا أنها حافظت على التراث الإنساني من الضياع ، كما أنها تشكل قوة ضاربة في الأعماق ، وتعد منافسًا خطيراً لجميع لغات العالم ، وما إقرار الأمم المتحدة باستعمال اللغة العربية في تجمعاتها وملتقياتها ، واعتمادها لغة أثناء عمليات الترجمة الفورية ،إلا دليل على مكانتها ، وما اعتراف منظمة اليونسكو ، والصحة العالمية باللغة العربية واستخدامها في نشراتها ودعايتها لدليل آخرعلى أهميتها ، وما بسط نفوذها على القارة الإفريقية لدلالة قاطعة على بروزها كمنافس قوي للغات الأخرى ، ومسارعة الكثير من الدول الغربية وعلى رأسهم أمريكا ،ومحاولة أبنائها تعلم اللغة العربية من أجل التواصل، والعمل في الأقطار العربية إلا علامة من علامات عظمة هذه اللغة ،وفي هذا السياق يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينون في معرض حديثه عن مكانة اللغة العربية ،وبروزها كلغة عالمية دولية: " إن اللغة العربية أداة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دوليا ، لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم المستقلة في المستقبل". (عمر بن طرية ،2008، ص 6-7).

المنارة للاستشارات

وفوق هذا وذاك يكفيها علو شأن أنها حملت أحكام القرآن الكريم ، وأنها اللغة الوحيدة التي تمكن أهلها من عملية لم الشمل والوحدة والاتحاد ، كما أنها اللغة الوحيدة التي ستبقى محفوظة إلى أن تقوم الساعة مصداقا لقوله تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾"الحجر :9".

ولعل هذه فضيلة لم تحظ بها لغة من لغات العالم بأسره ، وهذا مما يزيدها استشرافاً وإشراقاً في المستقبل وتحديا منقطع النظير.

التحديات التي تواجهها اللغة العربية:

لغتنا العربية الآن في حيرة واغتراب واختبار واضطراب، وليست اللغة العربية وحدها في هذا الخضم بل الوطن العربي كله، لذا فإنه يجب علينا أن نعترف بمشكلات اللغة والتحديات التي تواجهها حتى يمكننا مواجهتها، ويمكننا أن نشير إلى أنه منذ زمن بعيد توصل اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية الذي عقد في عمان عام (1974) إلى تحديد أهم المشكلات والتحديات التي تواجه تعليم اللغة في مدارسنا ونعرضها مرتبة تنازلياً على النحو الآتي:

1.عدم عناية مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة.

2. منهج تعليم اللغة العربية لا يخرج القارئ المناسب والمواكب للعصر.

3.عدم توافر قاموس لغوي حديث في كل مرحلة من مراحل التعليم العام.

4. الافتقار إلى أدوات القياس الموضوعية في تقويم التعليم اللغوي.

5. قلة استخدام المعينات التعليمية والتقنيات الحديثة في تعليم اللغة.

6.ازدحام النحو بالقواعد، وكثير منها ليس وظيفياً.

7. صعوبة القواعد النحوية و اضطرابها.

8.افتقار طرائق تعليم القراءة للمبتدئين إلى دراسات علمية.

9.الانتقال الفجائي في التعليم من عامية الطفل إلى اللغة الفصيحة.

10. اضطراب المستوى اللغوي بين كتب المواد؛بل بين كتب المادة الواحدة في الصف الواحد.

11. دراسة الأدب والنصوص لا تصل التلميذ بنتاج حاضره وتراث ماضيه وصلاً يظهر أثره في حياته.

12. طغيان الماضي على الحاضر في تدريس الأدب.

المنارة للاستشارات

13. نقص عدد المعلمين المتخصصين وانخفاض مستواهم.
14. بعد اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المدارس عن فصحى العصر.
15. صعوبات الكتابة العربية.

هذا بالإضافة إلى ما يأتي:

- ضعف العناية بتطبيق الطرائق التربوية الحديثة في تعليم اللغة.
- قلة المناشط المدرسية المتعلقة باللغة العربية، وعدم اهتمام المعلمين بها.
- اختلاف قواعد الإملاء التي يتعلمها الطلاب في البلاد العربية، وقصور هذه القواعد في ربطهم بالرسم القرآني.
- تأثير وسائل الإعلام على الجهود التي تبذلها المدرسة في تعليم اللغة العربية.
- الضعف الظاهر في خطوط التلاميذ وعدم عناية مدرسي اللغة العربية بالخط العربي.
- الضعف في الكتابة والتعبير والإملاء.

ويظل من أخطر ما يواجه اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين وفي هذه الأيام وبما يسمى بعصر العولمة هو منافسة اللغة الأجنبية وفي مقدمتها(اللغة الإنجليزية) للغة العربية وبما يسمى(ثنائية اللغة)إلى جانب التحدي المستمر للغة بما يسمى ازدواجية اللغة ومزاحمة العامية للفصحى.(أحمد علي كنعان،2012 ، ص 5- 6).

عقبات في طريق عالمية اللغة العربية:

هناك عقبات حقيقية من شأنها الحيلولة دون بلوغ اللغة العربية المرتبة الأولى عالمياً، وهذه العقبات تستلزم معالجة فعالة عملية، ولا ينفع في إزالتها تبجحنا بعِظَمِ لغتنا، وجمالها وبلاغتها، بل وقداستها، كل ذلك لن يعود على اللغة العربية بالإصلاح والنفع، ولن يزحزح قيد العقبات التي تحول دون عالمية اللغة العربية.

العقبة الأولى :حامل اللغة:

إنَّ أيسر طريق لتعلم أي لغة يكمن في ممارستها، فما دمت تمارس لغةً فأنت تتعلمها، وأما إن عدمت الممارسة فإن تعلم اللغة يأخذ مأخذاً غاية في الصعوبة.وإذا رأينا اللغة الإنجليزية مثلاً، فإن عملية ممارستها غاية في السهولة واليسر؛ لأنَّ كل رجل انجليزي يعدُّ محلاً صالحاً لممارسة اللغة، بل حتى الطفل الصغير يمكن لمن أراد تعلم اللغة الإنجليزية أن يمارس اللغة معه، وسيجد كلامه متوافقاً في الأصل مع قواعد اللغة الإنجليزية .لكن إذا رجعنا إلى اللغة العربية فالأمر غاية في الإشكال، ذلك لأنَّ حامل اللغة العربية اليوم لا يريد ممارستها، وإن أراد ممارستها فهو غير قادر على ممارستها ممارسة تتوافق مع قواعد اللغة

المنارة للاستشارات

العربية،وليس هذا الأمر مقتصراً على غير المتعلمين فحسب، بل حتى على مستوى النُّخب المثقفة، فمن النادر أن تجد مثقفاً يتكلم بلغة عربية سليمة لا شية فيها.

فالمشكلة أنَّ حامل اللغة العربية لا يميز صحيح اللغة من سقيمها، بخلاف حامل اللغة الإنجليزية فهو قادرٌ على تمييز ما هو صحيح من لغته وما هو ليس كذلك، ومن الطبيعي أنَّ اللغة التي لا تُمارس من أربابها- وبل وليسوا قادرين أصلاً على ممارستها- لن تكون خليقة بأن تكون اللغة الأولى في العالم.

العقبة الثانية :ضعف المخزون المعرفي:

اللغة في نهاية المطاف ليست إلا وعاءً، وقيمة الوعاء تكمن في قيمة ما فيه، فإن كان الوعاء عارياً وفارغاً فإنه جدير بألا يُعنى به ولا يُلتفت إليه، ولذلك نجد أنَّ من أهم دواعي تعلم اللغة الإنجليزية في عصرنا الحالي هو ما تكتنزه من معارف وعلوم حديثة.

فهل يستطيع أيُّ طبيب اليوم أن يكون عالماً ومتميزاً دون إدراكه للغة الإنجليزية؟ كيف إذن سيواكب التطورات البحثية الطبية؟ هل ينتظر يومياً مَن يُرتجم له مَا يستجد؟ ثم إنما تكون الابتكارات الطبية بلغة مبتكريها، وهي اللغة الإنجليزية، فإن كان الطبيب لا يستطيع إدراك اللغة الإنجليزية، فكيف سيواكب هذه الابتكارات؟ وكذلك هو الحال مع رجالات الفنون الأخرى.

إذن، أحد أهم معايير الاهتمام بأي لغة هو المخزون المعرفي والكم الحضاري الذي تحتويه، وهذا يقودنا إلى السؤال الجوهري :ماذا لدى العرب اليوم من معارف وعلوم حديثة؟ وما مقدار الأبحاث العلمية والابتكارات والإنجازات المعرفية التي ينجزها العرب سنوياً؟ http://web.worldbank.org

إنَّ الخجل يعتري أي باحث عربي إذا علمنا أنَّ إنفاق إسرائيل وحدها على البحث العلمي يفوق إنفاق كل الدولة العربية مجتمعةً. (ياقوت، محمد مسعد، البحوث العلمية في العالم العربي غير مجدية)، http://www.saaid.net/Minute/197.htm

، ذلك لأن الدول العربية اشتغلت وانشغلت بالإنفاق الضخم على الشؤون التي لا تعود بالنفع على مواطنيها، كالشؤون الرياضية والعسكرية، وأضحى التعليم أمراً كمالياً تحسينيًا.

إنَّ المخزون المعرفي العربي الحديث في غاية الضعف والهوان، يعيش عالة على غيره، ولا يمد غيره بشيء يذكر، ومعلومٌ أن من أهم دواعي تعلم أي لغة، هو المقدار المعرفي الذي تحتويه، وعليه فإن ضعف الكم المعرفي عند العرب يُعدُّ من عقبات تعلم اللغة العربية، ومن دواعي صرف النظر عنها.

المنارة للاستشارات

العقبة الثالثة :غياب اللغة العربية عن الفن العربي:

من أهم وسائل انتشار أي لغة هو تجسدها في الواقع الفني، سواء أكان غناءً أم أفلاماً أم مسرحيات أم غير ذلك من الأدوات الفنية، ذلك لأن للأدوات الفنية دوراً ساحراً في انتشار اللغة أو اللهجة الممارسة في تلك الأدوات.

فإذا جئنا إلى اللهجة المصرية فإنا نجدها تعد من أشهر اللهجات في الوطن العربي، وإذا عدنا للأسباب،فإننا نجد أن من أهمها شيوع الأفلام والمسلسلات المصرية، وكذلك الحال بالنسبة للغة الإنجليزية، فإن من أهم عوامل انتشارها هو الأفلام الأمريكية التي يشاهدها الملايين، وأضحت الأفلام المفضلة في الشرق والغرب،أما اللغة العربية فلا تتم ممارستها في الأدوات الفنية.

كان هناك في السابق مسلسل للأطفال يُسمَّى" افتح يا سمسم "وكان الممثلون يتحدثون اللغة العربية الفصحى، وقد كان لهذا المسلسل أثر كبير في جعل الناس -لاسيما الأطفال- يتحدثون الفصحى فيما بينهم.هذا كان مسلسلاً واحداً، فما بالك لو كانت جميع الأفلام والمسلسلات باللغة الفصحى؟ بالتأكيد سينعكس ذلك ضرورةً على المجتمعات لا سيما فئة الشباب منهم.

واليوم عاد استعمال اللغة العربية في جزء صغير من الفن، وهو المتعلق بالمسلسلات التاريخية، حيث يتحدث فيها الممثلون باللغة الفصحى، لكن هذا الجزء الصغير لا يمكن أن يؤدي الدور المطلوب من خلال تغريده وحيداً في الساحة.

العقبة الرابعة :ضآلة حضور اللغة العربية عن الإعلام العربي:

إذا ما استثنينا قنوات تعدُّ على أصابع اليد الواحدة، فإنَّ معظم القنوات التي تدعي أنها عربية تتحدث في برامجها بلهجات مذيعيها، وحتى تلك القنوات التي تتحدث في نشرات أخبارها باللغة العربية الفصحى فإنها لا تلتزم ذلك في حوار مذيعيها مع الضيوف ولا في البرامج الأخرى.

إن جامعة جورجتاون الأمريكية -على سبيل المثال- ترفض أن يشاهد طلابها ممن يريد تعلم اللغة العربية جميع القنوات العربية باستثناء قناة الجزيرة الفضائية؛ لأنها القناة الوحيدة التي تلتزم بأن تتحدث اللغة العربية الفصحى في جميع برامجها .وهذا الأمر لاشك أنَّه يُعقِّدُ من مهمة مريدي تعلم اللغة العربية؛ لأن متابعة وسائل الإعلام والاستماع لها من أكثر الوسائل إعانة على إجادةِ لغةٍ ما، فإذا فقدت هذه الآلية تعسَّرت المهمة.

العقبة السادسة : تلاشي الاعتزاز بالانتماء للغة العربية:

المنارة للاستشارات

كان هناك برنامج في إحدى القنوات الفضائية يجري عملية استقرائية على طلاب المدارس الثانوية في لبنان، فذكر أحد الطلبة أنَّهم لا يجدون متعة إلا عندما يتحدثون اللغة الفرنسية، أما اللغة العربية فلا يتكلمونها إلا على وجه التهكم والسخرية.

ما قاله هذا الشاب يعكس الواقع المعيش عند كثيرين للأسف الشديد، فالكثير من الآباء والأمهات يتحدثون مع أولادهم غير العربية، وهم عرب في بلاد العرب، بل أكثر من ذلك أنَّ هناك من يطلب من المدرسة أن تُعفي أبناءه من دروس مادة اللغة العربية.

اللّغة والتّعليم في ظلّ النّظام العالميّ الجديد:

تعدّ قضية اختيار لغة التّعليم من القضايا المهمّة والأساسيّة في أيّ مشروع يهدف إلى تطوير التّعليم، فاللّغة هي القناة الّتي تنقل عبرها العلوم والمعارف إلى المتعلّمين، وهي الأداة الّتي يعبّر بها المتعلّمون عن فهمهم وتفاعلهم مع ما يتعلّمونه، وهي الوسيلة الّتي يقاس بها مدى النّجاح الّذي يحققونه في استيعاب الموادّ المختلفة وفهم دقائقها وتطبيقاتها المتنوّعة.

وهناك عوامل كثيرة تخضع لها عمليّة اختيار لغة التّعليم، فليس الأمر مقصورًا على الأبعاد التّربويّة والتّعليميّة واللّغويّة، بل تتدخّل في مثل هذه القضيّة عوامل أخرى من خارج اللّغة، وهي ذات تأثير قويّ وسلطة طاغية، بحيث يصبح الأمر كأنّه خاضع لها وحدها في النّهاية، ولا يكون للّغة وما تتمتّع به من مكانة وخصوصيّة أيّ تأثير يذكر في مقابلها. ولعلّ في هذا إشارة واضحة إلى أنّ اللّغة لا تنفصل عن مقوّمات بقائها، فهي مندمجة اندماجًا شديدًا في بنية المجتمع الّذي هي لسانه، ومتفاعلة بقوّة مع الأوضاع السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي يحياها. فليس هناك شكّ – كما يصرّح جون إدواردز- أنّ أقوى العوامل الّتي تقف وراء ضعف اللّغة هو عدم كفاءة أهلها وضعفهم في مقابل الآخر الّذي يتمتّع بقوّة اقتصاديّة وتقنيّة عالية. (John Edwards, 1985, P50).

إنّ هذا الارتباط – رغم وضوحه- يتجاهله أحيانًا من ينادون بالحفاظ على اللّغة الأمّ، وضرورة التّمسّك بها؛ فاللّغة ليست مستقلّة عن الواقع، ولا يمكن الفصل بينها وبين عوامل أخرى تؤثّر تأثيرًا عميقًا في تعزيز مكانتها ووجودها أو في إضعافها وتنحيتها. إنّها تتّصل اتّصالا مباشرًا بالتّكيّف العمليّ (البراغماتيّ) للمتطلّبات الجديدة الّتي يفرضها الواقع الاقتصاديّ والسّياسيّ المتغيّر.

(John Edwards, 1985, P92).

وقد بيّنت المؤسّسة الملكيّة للعلاقات الدّوليّة في لندن هذه المسألة؛ فقد ذكرت أنّ النّاس قد يغيّرون لغتهم، ويتعلّمون لغة أخرى إذا دعت الضّرورة إلى ذلك "وعلى الرّغم

المنارة للاستشارات

من أنّ اللّغة الجديدة ستُتَعَلَّم على أنّها لغة مساعدة أو ثانية، فإنّ الأجيال المتلاحقة ستميل إلى استعمالها استعمالا متناميًا في كلّ المجالات". (Royal Institute of International Affairs, 1963, P 287).

لقد أشار كثير من الدّارسين إلى العلاقة الوثيقة بين اللّغة والاقتصاد أو القوّة بمفهومها الأكثر شمولا، ومدى تأثير الثّانية في الأولى تأثيرًا قد يصل أحيانًا إلى درجات قصوى من الإضعاف والتّهميش؛ فقد ذكر دورين أنّ "الولاء للّغة يبقى ما دامت الظّروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة تمثّل عوامل مساعدة لها، ولكن إذا أثبتت لغة أخرى أنّها تملك قيمة أعظم، فإنّ تحولا إلى اللّغة الثّانية سيبدأ".

فالإخلاص للّغة – كما يرى كثيرون- متجذّر في أرضيّة اقتصاديّة قويّة أكثر ممّا هو مرتبط بأبعاد حضاريّة أو تراثيّة مستقلّة.

إنّ الإشارات السّابقة إلى قوّة العلاقة بين اللّغة والظّروف الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة للمتكلّمين بها تزداد رسوخًا وثباتًا في هذا العصر؛ فمع إفرازات العولمة والنّظام الاقتصاديّ الجديد، والثّورة المعلوماتيّة والانفجار المعرفيّ المتسارع في مختلف حقول العلم أضحت اللّغات مظهرًا سريع التّأثر من مظاهر الحياة في كثير من المجتمعات، غير قادر على الصّمود أو الثّبات في وجه العملقة اللّغويّة للُّغات القويّة، وبخاصّة اللّغة الإنجليزيّة؛ فقد علا الاقتصاد على كلّ المظاهر الأخرى في حياة النّاس، وأصبحت كثير من القيم تقاس بمقياس الرّبح والخسارة، وتحوّل النّظر إلى اللّغة، في كثير من أجزاء العالم من أنّها علامة أساسيّة للهويّة الوطنيّة إلى النّظر إليها على أنّها سلعة تسويقيّة منفصلة عن الهويّة، بل إنّ الهويّة نفسها أصبحت تسوّق، في صورة منتجات تراثيّة كالرّقص والموسيقى والحرف اليدويّة منفصلة تمامًا عن اللّغة. (Monica Heller, 2003, P474).

ولعلّ التّعليم هو أكثر المجالات الّتي يظهر فيها تأثّر اللّغة بما يكتنف حياة المجتمع من تقلّبات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة جديدة، ولذلك نرى متّخذي القرار في كثير من الدّول منساقين وراء اعتماد اللّغة الإنجليزيّة لغة للتّعليم، لا لأسباب تربويّة أو تعليميّة خالصة، فليس الجانب التّربويّ للتّعليم باللّغة الأمّ هو الّذي يحدّد القرار، بل الجوانب السّياسيّة والاقتصاديّة هي الّتي تضغط بقوّة وتمثّل عوامل مؤثّرة حين يكون الحديث عن اللّغة والتّعليم.(Barbara Trudell, 2007, p553).

فالتّعليم والقوّة مرتبطان ارتباطًا عظيمًا في هذا العصر، فقد تغيّرت أهداف التّعليم عن العصور السّابقة، وأصبح التّعليم مصدرًا من مصادر دعم القوّة السّياسيّة

المنارة للاستشارات

والاقتصاديّة للدّول، إنّه متأثّر بقوّة بالتّوجه العالميّ الجديد نحو النّموّ الاقتصاديّ، وينظر إليه على أنّه وسيلة لتحقيق المصالح الاقتصاديّة والاجتماعيّة. (Levinson, B.A, Holland, D.C, 1996, p 16).

ولذلك ظهر ما يعرف الآن باقتصاد المعرفة، وهذا يشير إشارة مباشرة إلى شدّة الارتباط بين المعرفة والاقتصاد في تصديقٍ لما سبق أن أشرنا إليه على لسان بعض الباحثين. وهكذا يصبح أيّ طريق إلى القوّة أو السّلطة أو التّنافس مع القوى العظمى له الأولويّة في الاختيار، وإن كان ذلك قد يؤدّي إلى تهميش اللّغة الأمّ أو إخراجها من سياقات مهمّة جدًّا كالتّعليم أو المعاملات الرّسميّة المختلفة. إنّ اللغة الّتي تحقّق القوّة أو الوصول إلى مصادر القوّة يقدّرها صانعو القرار وكثير من أفراد المجتمع تقديرًا عظيمًا، وهذا يؤدّي بدوره إلى خفض قيمة اللّغة الأمّ في التّعليم وغيره من المجالات الحيويّة، لأنّها لم تعد مرتبطة بالقوّة والسّلطة والنّفوذ، وليست ذات قدرة على التّنافس مع اللّغات ذات الانتشار الواسع في مجالات العلم والمعرفة والاقتصاد والسّياسة والاتّصال.(Barbara Trudell, 2007, p554).

تشير بعض الدّراسات في مجال اللّغة والتّعليم إلى أنّ وجهة نظر النّاس المؤثّرين تأثيرًا مباشرًا في التّعليم تعدّ من أقوى العوامل المؤثّرة في اختيار لغة التّعليم؛ فالمعلّمون، وأولياء الأمور، وقادة المجتمع، ومديرو المدارس، والمتعلّمون أنفسهم، كلّ هؤلاء يؤثّرون بقوّة في رسم سياسات التّعليم. وبحسب استجابتهم لتاريخهم وتراثهم، وتفاعلهم مع السّياق الاقتصاديّ والاجتماعيّ الّذي يَحْيَوْنَه يُكَوِّنون رؤيتهم الخاصّة حول طبيعة التّعليم ومخرجاته المتوقّعة، وحول وضع اللّغة الأمّ، والموقع الّذي تستحقّه في السّياق التّعليميّ كاملا.(Barbara Trudell, 2007, p552).

وإذا أردنا أن نحصر النّظر في عالمنا العربيّ فإنّ ما يحدث فيه بشأن تغيير سياسات التّعليم، والسّعي الحثيث نحو الحصول على الاعتماد الأكاديميّ من المؤسّسات التّعليميّة العالميّة في الولايات المتّحدة على وجه الخصوص، والانتقال بالتّعليم إلى نظام الخصخصة، وفتح الأبواب للجامعات الأجنبيّة الخاصّة، وتغيير مناهج التّعليم في المدارس والجامعات، وتأكيد أهمّيّة اللّغة الإنجليزيّة يشير بوضوح إلى أنّ عالمنا العربيّ ليس بمنأى عن تأثير العولمة والنّظام الاقتصاديّ الجديد.

(Abdel Bagi Abdel Ghani Babiker, p 105-112).

وعلى الرّغم من أنّ هذا التّحوّل الكبير في سياسات التّعليم في الوطن العربيّ لا يخلو من إيجابيّات، تتمثّل في تطوير طرق التّعليم، وتحديث وسائله، والاستعانة بمصادر

المنارة للاستشارات

التّعلّم المتنوّعة الّتي تتصدّرها المصادر الإلكترونيّة والشّبكة العالميّة، إلا أنّ آثاره السلبيّة لا تخفى على أحد، خاصّة فيما يتّصل بالمحافظة على الهُويّة و اللّغة العربيّة والتّماسك الاجتماعيّ وتقدير الخصوصيّة التّاريخيّة والتّراثيّة للمنطقة والتّمسّك بالقيم والتقاليد الإسلاميّة، فقد بدأت هذه القيم تتراجع تراجعًا واضحًا في السّياقات التّعليميّة المختلفة، رغم بعض الجهود الّتي تحاول أن تحفظ لها مكانتها وتماسكها. لقد نتج عما يسمّى بعولمة التّعليم في المجتمعات العربية، وغيرها من المجتمعات النّامية، "انسحاب حضاريّ" للعناصر الجوهريّة الّتي تشكّل هويّة المتعلّمين وخصوصيّتهم التّاريخيّة والقوميّة والإنسانيّة. وأصبح المتعلّمون أنفسهم لا يشعرون بأهمّيّة هذه العناصر ودورها في تشكيل شخصيّاتهم ومستقبلهم. فالعولمة بمعطياتها الخاصّة وتقنياتها القادرة على الوصول إلى كلّ المتعلّمين من شتّى الأجناس والأعمار تُصَدِّر للشّباب تصوّرات مغرية وقويّة التّأثير للحياة الجّيدة والأشياء الجيّدة من منظورها الخاصّ، مكوّنة بنية تصوّريّة جديدة لما يجب أن يطمح إليه الشّباب برغبة قويّة وتوق شديد، يصاحبها أحيانًا شعور بالحرمان والنّقص لعدم امتلاك مقوّمات الحياة الجيّدة الّتي تفرضها العولمة على العالم، إنّ العولمة تتّجه بالعالم نحو ما يسمّى بالتّجانس الثّقافيّ الّذي تتلاشى فيه الفروقات والخصوصيّات الثّقافيّة للشّعوب، وتطغى فيه صورة وحيدة للثّقافة تصدّرها الولايات المتّحدة الأمريكيّة لكلّ الشّعوب.

(Suarez-Orozco, Marcello M (editor), 2004 , p19)

فإذا أردنا أن نحصر الكلام في اللّغة الأمّ، فإنّها في كثير من أنظمة التّعليم- استجابة لمتطلّبات النّظام العالميّ الجديد وإفرازات العولمة والانفجار المعلوماتي- تتراجع تراجعًا مستمرًّا، وتصبح في كثير من الأحيان اللّغة الثّانية، بغضّ النّظر عن التّصريحات الرّسمية بضرورة المحافظة على اللّغة الأمّ وتقديرها، ولا يقتصر الأمر على الجانب الرّسميّ أو السّياسيّ للمسألة، بل إنّها آخذة في التّراجع عند النّاس عامّة، وفي هذا إشارة واضحة إلى ما سبق أن ذكرناه من ارتباط اللّغة بمقوّمات القوّة في المجتمع، وعلى رأسها الاقتصاد والتّقدّم العلميّ والتّقنيّ.

ويبدو أنّ النّهوض باللّغة الأمّ في كثير من المجتمعات النّامية، كالدّول العربيّة مثلا، عملٌ يتطلّب بذل الجهود العظيمة، واستثمار الكثير من الأموال، وخطّة عمل تستغرق زمنًا طويلا، وإرادة قويّة، ورغبة حقيقيّة صادقة في خدمة اللّغة الأمّ، واقتناعًا بأهمّيتها ودورها الفاعل في النّهوض بالمجتمع والإسهام في تطويره وتمكينه. وهذا أمر تستثقله كثير من الحكومات والمؤسّسات الرّسميّة حين تقارنه بمسألة اختيار اللّغة الإنجليزيّة لغة

المنارة للاستشارات

للتّعليم، إذ إنّ ذلك يعفيها من متطلّبات ماديّة كثيرة، قد لا تراها تستحقّ أن تُبْذَل في شأن يبدو لها غير منطقيّ أو غير مضمون النّتائج، وهي الّتي تقيس الشّؤون كلّها الآن بمقياس الرّبح والخسارة الماديّين. فقد أصبح اختيار لغة التّعليم اليوم خاضعًا لمقاييس بعيدة كلّ البعد عن المحافظة على الهُويّة والتّراث، وتقدير اللّغة الأمّ، والتّمسّك بالقيم الخاصّة بالمجتمع، وأخذ ينحو نحو الاستجابة للمتغيّرات العالميّة المتوالدة المتسارعة الّتي ارتبطت باللّغة الإنجليزيّة، وجعلتها المصدر الأوّل من مصادر المعرفة والعلوم والتّقدّم التّقنيّ، والمادّة الأساسيّة الّتي تنتج بها موادّ التّعليم على اختلاف مجالاتها ومستوياتها. وأصبح ينظر إليها على أنّها لغة النّخبة، ولغة القوّة، ولغة النّفوذ، في حين ينظر إلى كثير من اللّغات اليوم على أنّها تفتقر إلى الموضوعيّة والعلميّة والقبول العالميّ. (Barbara Trudell, 2007, p554).

خاتمة :

إن اللغة تحيا وتزدهر بحياة الأمة التي تنطق بها، وبازدهار العلوم والآداب والمعارف التي يبدعها أهلها في مختلف المجالات ، فاللغة تقوى بالإنتاج العلمي والفكري والثقافي، وهي تفرض نفسها وتنتشر في العالم بالعلم والمعرفة ، وتحافظ على هوية أهلها ، وقد تعرضت اللغة العربية لحروب عديدة واستطاعت بفضل الله تعالى الاستمرار والبقاء ، ولا شك أن القرآن الكريم الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه هو العامل الكبير في حفظ اللغة العربية ، فهي لغة القرآن الكريم، الكتاب العربي المبين، والبيان الساحر، وقد أضفى على اللغة العربية شرف القداسة ،فلنرجع إلى كتاب الله تعالى ونتمسك بحبل الله المتين حتى نحافظ على هويتنا العربية و الإسلامية.

قائمة المراجع :

1.أحمد علي كنعان:"اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل معالجتها"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للّغة العربية(العربية لغة عالمية :مسؤولية الفردوالمجتمع والدولة)،المجلس الدولي للّغة العربية بالتعاون مع اليونسكو ، بيروت ، لبنان ،19– 23 مارس (آذار) 2012 .

2.بدوي، السعيد، ويونس، فتحي:" الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"،تونس :المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،.1983

3.رشدي طعيمة :" الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ،1982 .

المنارة للاستشارات

4.صالح بلعيد ،" اللغة العربية في مجتمع المعرفة" ، الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية (ضمن أعمال المجلس الأعلى للغة العربية)،2009.

5.عمر بن طرية : " اللغة العربية وتحديات العولمة " ،الأثر- مجلة الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، الجزائر، العدد السابع ،ماي .2008

6.غنيم كارم السيد،" اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة"، مكتبة الساعي، الرياض، .1990

7.فؤاد البنا:" العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري و رياح العولمة"، دار التوزيع و البشر الإسلامية، الطبعة الأولى ،2006.

8.محمد خضر عريف :"أهمية اللغة العربية وأثرها على اللغات الأخرى"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للّغة العربية(العربية لغة عالمية :مسؤولية الفردوالمجتمع والدولة)،المجلس الدولي للّغة العربية بالتعاون مع اليونسكو ، بيروت ، لبنان ،19– 23 مارس (آذار) 2012

.

http://web.worldbank.org9 .

مجدية" ، غير العربي العالم في العلمية البحوث مسعد:" محمد 10. ياقوت، http://www.saaid.net/Minute/197.htm

11.John Edwards, language, society and identity, basil Blackwell, Oxford-New York.

12.Royal Institute of International Affairs, Nationalism, London: Frank Cass, 1963.

13.Monica Heller, Globalization, The new economy and The coomodification of language and identity, Journal of Sociolinguistics 7/4 ,2003.

14. Barbara Trudell, Local community perspectives and language of education in sub-Saharan Africa communities, International Journal of Educational Development 27, 2007.

15.Levinson, B.A, Holland, D.C, The cultural production of the educated person: an introduction. In: The cultural production of the educated person: an introduction: Critical Ethnographic of Schooling and Local Practice, State University of New York, Albany, 1996.

المنارة للاستشارات

16.Abdel Bagi Abdel Ghani Babiker, Higher Education, Globalization and Quality Assurance in the Arab State.

17.Suarez-Orozco, Marcello M (editor), Globalization: Culture and Education in the New Millennium, University of California Press, 2004 .

المنارة للاستشارات